**المحاضرة الثانية: نشأة اللغة العربية وتطورها**

**مرحلة التأسيس قبل الاسلام**:

اللغة العربية من أوائل العبارات التي انفصلت عن اللغة السامية الأم، وبقيت محافظة على حالتها الأصلية لفترة طويلة بفعل الانعزال، قبل أن تبدأ في التفاعل مع الثقافات الثانية.

لا يوجد أحد من الدارسين للغة العربية استطاع تقديم دليل حقيقي وقطعي لبداية اللغة العربية لا زمنيا ولا مكانيا، كل النظريات التي تحدثت عن ذلك إما تعتمد على الحكايات المتواترة في التراث العربي أو اليمني، أو الإثيوبي، أو في المكتوب في العهد القديم.

في العصر الحديث وضعوا كل هذه المرويات على حدى وبدأوا في الاجتهاد في قراءة الاكتشافات الأثرية المختلفة التي وجدوها سواء في شمال الجزيرة العربية أو اليمن. والتي كذلك لم تستطع تقديم دليل قاطع لحد الآن عن بداية اللغة العربية. و من المهم الإشارة إلى أن استخدام اللغة في المعاملات اليومية سبق عملية الكتابة بقرون طويلة، ومن هنا تبدأ نقطة الاختلاف في تحديد نقطة البداية الفعلية.

أقرب نظرية للواقع حول بداية اللغة العربية، تشير إلى مطلع القرن الأول ق.م أين ظهرت الحضارة اليمنية؛ حضارة سبأ، عاصمتها مأرب حيث أسس اليمنيون حضارة عريقة تواصلوا من خلالها مع ممالك أخرى، مصر كنعان، شمال اليونان، الهنود، الشرق، الساحل الشرقي في الصومال والحبشة.

في حضارة سبأ ظهرت اللغة العربية في أول مراحلها في صورتها الأولى كانت أقرب إلى السامية الأولى، استخدموا خط المسند لكتابة لغتهم العربية والذي يحاول بعض الباحثين الربط ما بينها وبين أبجدية سينا أو كنعان التي ظهرت في الشمال لكن حروف خط المسند شكلها مختلف بكثير عن أبجدية كنعان(سينا) كما أن عدد حروفها أكبر. واتجاه الكتابة فيها متحرر أكثر من لغات الشمال، كان يكتب من الشمال إلى اليمين، أو من اليمين إلى الشمال أو من فوق لتحت اتجاه الحروف نفسه هو الذي يحدّد اتجاه بداية القراءة بفصل الكلمات بخط أفقي. ولا يوجد حروف ولا حركات، أما اللغة نفسها احتفظت بجميع الأصوات السامية القديمة.



 1 \_ **الشكل الأول: خط المسند**

ظهرت الأصوات في العربية السبئية مثل ( ف، خ، ض، ذ، ظ،غ) وقد كانوا اختفوا من لغات الشمال، كما حافظت كذلك على حرف السين، والسين السامخ كما اشتركت في العربية السبأية أو الجنوبية عموما مع باقي اللغات السامية في الجذر الاشتقاقي للكلمة، كل كلمة كان لها جذر اشتقاقي للحروف مكون من ثلاثة، عن طريق بعض الاضافات يخرج منه الاسم والحال والفعل بأزمانه المختلفة( فَعَلَ، يَفعَلُ، سيفعل)، وأيضا التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء أو الأفعال والصفات (هو فعل يفعل سيفعل) (هي فعلت، تفعل، ستفعل)



الشكل2\_ الحروف الكنعانية

احتفظت عربية سبأ بقواعد الصرف التي كانت في اللغة السامية الأم وظهرت بشكل ما في لغة الأكاديين ولكن كانت الميم في اللغة السامية تحولت إلى النون في لغة السبأيين والتعريف فيها بإضافة نون في آخر الاسم مثل **ملك** يقولون **ملكن**.

في وقت لاحق أصبح التعريف بالألف واللام في بداية الاسم، ظهر فيها كذلك الاسم المفرد والمثنى الذي اختفى في بعض اللغات السامية الشمالية، الجمع، وظهرت كذلك نون النسوة للتفرقة بين جميع الأفعال ( يفعلون، يفعلن) ودائما اسم الشخص يبقى مقترنا باسم الأب أو القبيلة لكنهم لاحظوا استخدامهم لـ" بل" فلان بدل ابن فلان بلحارث بدل ابن الحارث، بلحمر بدل ابن الأحمر وبلقيس بدل ابن القيس أو ابنة القيس.

كما يزود اللغة بالكثير من المفردات التي تساعد من يتكلم على الكثير من الاعجاز والانجاز حيث يستطيع أن يعبر عن المعنى الذي يريده بأقل عدد من الكلمات وهذه هي البلاغة التي ساعدت على نشأة الأدب والشعر في وقت لاحق، وبقي استخدام خط المسند لوقت لاحق بعد دخول الاسلام.

 مع انهيار سد مأرب تفككت حضارة السبأيين، وظهرت العديد من الممالك المستقلة، سموهم العرب، لغتهم العربية تأثرت كثيرا باللغات الشمالية عن عربية أهل اليمن، وفي الوقت هذا كانت اللغة الأرامية منتشرة بشكل كبير في كل منطقة الشام والعراق، فكانت ثقافة الممالك أو القبائل العربية هي الأرامية، فيما بينهم كانوا يتكلمون العربية بشكل عادي لكن المتعلمين منهم من تجار وملوك كانوا يستخدمون الأرامية في تعاملاتهم مع الأمم الأخرى.

ظهر الخط المسند في النقوش القديمة الخاصة بهم عندما كانوا لا يزالون قادمين من الجنوب وقبل أن يتأثروا بأهل الشمال، تمّ اكتشاف العديد من النقوش في بادية الشام، تيماء، الاحساء، دادان، الرموز هذه حتى يفهمها العلماء استعانوا بالقريب منها خط المسند فوجدوها لهجات عربية شمالية متغيرة نوعا ما عن عربية أهل اليمن.

احتفظت عربية أهل الشمال بنفس خصائص العربية الجنوبية، التعريف بالألف واللام، والتنوين بالنون، لكن اختفى حرف السامخ واكتفوا بالسين العادية والصاد، ودخلت بعض التأثيرات العادية الأرامية مثل بعض القبائل يستخدمون الهاء في التعريف بدلا من الألف واللام والبعض يزود واو في آخر الاسم والصفة لكن الواو لاتنطق مثل عمرو وابن فلان يقال بارفلان

هناك كذلك الخط النبطي والخط التدمري( خليط بين العربية والأرامية) وفي بعض النقوش استخدموا فيها بعض النقوش اليونانية بكلمات عربية وهذه خلة نادرة في التاريخ العربي، باختصار حدث تعايش بين اللغة العربية والأرامية واليونانية.

في حوالي القرن 4ق.م هربت بعض القبائل العربية من الشمال ناحية الحجاز(الطائف، مكة) في مدن الحجاز اندمجت عربية الشمال مع عربية الجنوب، ومع بداية القرون الأولى ق,م ظهرت لهجة جديدة شاء أن تكون أشهر لهجات العرب، بشكل عام عربية مضر أو لهجة قريش، في الوقت هذا ونظرا لأهمية مدن مكة حيث كان العرب يأتون من كل مكان لتقديم القرابين في الكعبة، وكان اختلاف اللهجات من بين العوائق عند العرب الفرق في اللهجة كان يزيد مع الأيام، اختلاف الابدال والاعلال، اختلاف الحروف في البناء والاعراب، وهكذا كانت بداية لغة ثانية، مثلا :

* **عنعة تميم** وهي جعل الهمزة عيناً فيقولون (عنت وعنك) مكان (أنت وأنك).
* **قلقلة بهراء** وهي كسر ياء المضارع فيقوان (يِلعب ويِذهب) مكان (يَلعب ويَذهب).
* **كسكسة تميم** وهي إضافة سين بعد كاف المخاطبة فيقولون (رأيتكِس) مكان (رأيتكِ).
* **كشكلة أسد** وتنسب لربيعة وهي جعل كاف المخاطبة شيناً فيقولون (رأيتش) مكان (رأيتكِ).
* **فحفحة هذيل** وهي جعل الحاء عيناً فيقولون (عتى) مكان (حتى).
* **وكم ربيعة** وهي كسر كاف الخطاب بعد الياء أو الكسرة فيقولون (عليكِم) مكان (عليكُم) و(بِكِم) مكان (بِكُم).
* **وهم بني كلب** وهي كسر هاء الغيبة إذا لم تسبق بكسرة أو ياء ساكنة فيقولون (بينهِم) مكان (بينهُم).
* **جمجمة قضاعة** وهي جعل الياء الأخيرة جيماً فيقولون (الساعج) مكان (الساعي).
* **وتم أهل اليمن** وهي قلب السين في آخر الكلمة تاءً فيقولون (النات) مكان (الناس).
* **الاستنطاء عند سعد والأزد وقيس** وهي قلب العين الساكنة نوناً فيقولون (أنطى) مكان (أعطى).
* **شلشلة اليمن** وهي جعل الكاف شيناً فيقولون (لبيش) مكان (لبيك).
* **لخلخانية الشحر** وهي حذف الألف فيقولون (مشاء الله) مكان (ما شاء الله).
* **طمطمانية** حمير وهي تحويل أل التعريف إلى (أم)، وقد كلمهم بها الرسول صلى الله عليه وسلم حين قدموا عليه فقال لهم: "ليس من امبر امصيام في امسفر،"[[1]](#footnote-1) يعني ليس من البر الصيام في السفر.
* **غمغمة قضاعة** وهي إخفاء الحروف في الكلام حتى تكاد لا تظهر.

بشكل عام كل ما نستطيع الجزم به أنّ العربية هي من اللغات السامية والتي حافظت على ظاهرة الإعراب في السامية وكل ما يتجاوز هذا فهو نظرياتٌ وآراء يمكن القول بها ولا يمكن الجزم بها

لمعرفة المزيد حول الموضوع يرجى الاطلاع على المصادر التالية:

1. جودة الطحلاوي، تاريخ اللغات السامية، مطبعة الطلبة بمصر 1932
2. سيد فرح راشد، الكتابة من أقلام الساميين للخط العربي مكتبة الخانجي بالقاهرة.
3. محمد سهيل طفوش، تاريخ العرب قبل الاسلام، دار النفائس2009
4. هنري عبود، معجم الحضارة السامية، جرين برس، لبنان.

د. بلحاج كريمة

24/10/2024

1. رواه الدارقطني، في الإلزامات والتتبع، عن كعب بن عاصم الأشعري، الصفحة أو الرقم:109، حديث يلزمهما إخراجه البخاري ومسلم. [↑](#footnote-ref-1)